

تفسير ابن كثير

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

وقوله تعالى : (بديع السماوات والأرض) أي : خالقهما على غير مثال سبق ، قال مجاهد

والسدي : وهو مقتضى اللغة ، ومنه يقال للشيء المحدث : بدعة . كما جاء في الصحيح

لمسلم : " فإن كل محدثة بدعة [وكل بدعة ضلالة] " . والبدعة على قسمين : تارة تكون

بدعة شرعية ، كقوله : فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وتارة تكون بدعة

لغوية ، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جمعه إياهم على صلاة

التراويح واستمرارهم : نعمت البدعة هذه . وقال ابن جرير : وبديع السماوات والأرض :

مبدعهما . وإنما هو مفعول فصرف إلى فاعيل ، كما صرف المؤلم إلى الأليم ، والمسمع إلى

السميع . ومعنى المبدع : المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد . قال :

ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا ; لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره ، وكذلك كل

محدث فعلا أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم ، فإن العرب تسميه مبتدعا . ومن ذلك قول

أعشى ثعلبة ، في مدح هوزة بن علي الحنفي : يدعى إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له

الحزم أو ما شاءه ابتدعأي : يحدث ما شاء .قال ابن جرير : فمعنى الكلام : فسبحان الله
أنى يكون الله ولد ، وهو مالك ما في السماوات والأرض ، تشهد له جميعها بدلالتها عليه
بالوحدانية ، وتقر له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها وموجدتها من غير أصل ولا مثال احتذاها
عليه . وهذا إعلام من الله عباده أن ممن يشهد له بذلك المسيح ، الذي أضافوا إلى الله
بنوته ، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال ،
هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته .وهذا من ابن جرير ، رحمه الله ،
كلام جيد وعبرة صحيحة .وقوله تعالى : (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)
يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه إذا قدر أمرا وأراد كونه ، فإنما يقول
له : كن . أي : مرة واحدة ، فيكون ، أي : فيوجد على وفق ما أراد ، كما قال تعالى : ()
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس : 82] وقال تعالى : (إنما قولنا
لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل : 40] وقال تعالى : (وما أمرنا إلا
واحدة كلمح بالبصر) [القمر : 50] ، وقال الشاعر : إذا ما أراد الله أمرا فإنما يقول له
كن قولة فيكونونه تعالى بذلك أيضا على أن خلق عيسى بكلمة : كن ، فكان كما أمره

اللّٰهُ ، قال [اللّٰهُ] تعالى : (إن مثل عيسى عند اللّٰهُ كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون) [آل عمران : 59] .